

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة الواحدة والخمسون

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تحدثنا في اللقاء السابق عن عدة أمثال تتعلق بموضوع صفات الرجل الحميدة. وعلمنا أن من أهمها هو الابتعاد عن الخصام، وأن يكون الرجل أميناً. وتبين لنا أن الله هو الذي وضع الضمير في دواخلنا لكي نستطيع التمييز بين الخير والشر.

هل تنتبه مستمعي لما تشاهد ولما تسمع ولما تقرأ؟ وهل تعلم أن ما تشاهده وتسمعه وتقرأه يؤثر على نفسك من الداخل سلباً كان أم إيجاباً؟ ولهذا يصبح ضرورياً أن تنتبه لم تشاهده من أفلام على التلفزيون مثلاً، ولما تسمعه من أصدقائك، ولما تقرأه من كتب ومجلات. كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "الأذن السامعة والعين الباصرة الرب صنعهما كَلْتَيْهِمَا." (أمثال ٢٠: ١٢) فإذا كان الله الخالق هو الذي صنع الأذن لكي تسمع، والعين لكي تبصر، فهل ترانا ننتبه لما نسمع بالأذنين؟ ولما نرى بالعينين؟

إن للسمع وللرؤية أثراً كبيراً على نفسية الشاب. فإذا شاهد أفلاماً خلاعية أو غير لائقة، فإن هذا سيفسد أخلاقه، وسيستبيح أعمال الشر والفساد. وكذلك إذا رافق زملاء السوء، واستمع منهم إلى الألفاظ القبيحة والنكات الفاسدة، فإن هذا سيؤثر على مسلكه. وكما يقول علماء الاجتماع فإن لأفلام العنف أثراً سلبياً على نفسية الأولاد والأطفال. ولهذا ينصحون بإبعاد الأطفال عن مثل هذه الأفلام، لكي لا ينشأوا في أجواء سلبية، ربما تجعلهم مجرمي المستقبل.

فهل تراك تنتبه مستمعي إلى هذا الأمر؟ وهل تسعى لكي لا تشاهد أفلاماً مسيئة لأخلاقك إن كان في دور السينما أو على التلفزيون. وكذلك هل تنتبه لمن تعاشر وللكلمات التي يتفوهون بها؟ وهل تحاول أن تبتعد عن زملاء السوء وأن تلتصق بزملاء ذو سمعة حسنة؟

تحدّث المخلص المسيح في موعظته على الجبل عن أهمية العين فقال: "سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كلّه يكون نيّراً. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كلّه يكون مظلماً. فإن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون." (بشارة متى ٦: ٢٢ و٢٣)

لقد أصاب المخلص المسيح الحقيقة، فالعين هي السراج أي النور الذي يضيء الجسد. فعن طريق العين نستطيع أن نرى كل الأشياء الجيدة والفاصلة. وعندما نحفظ العين حتى ترى الأشياء الجيدة، فإن هذا لا يبدّ أن ينعكس على الجسد كله، فيصبح نيّراً، أي ينتج الثمار الصالحة. وعلى العكس من ذلك، عندما نسمح للعين أن ترى الأشياء الفاسدة، أي تصبح عيوناً شريرة، فإن جسدنا كله سيغدو مظلماً، أي يصدر عنه كل ما هو فاسد وشرير. وهنا تساءل المخلص المسيح أنه إذا أصبح النور الذي فينا أي العين ظلاماً، فكيف بنا نحدد الظلام؟

هذه هي الحقيقة التي أعلنها لنا المخلص المسيح ومنذ مئات السنين. وهنا تقع علينا المسؤولية الكبرى في حفظ نفوسنا من إطفاء النور الذي وضعه الله في أجسادنا. فهل ترانا نننّب لما نشاهد ونرى لكي يستمر النور في عيوننا ونحفظها بالتالي من الظلام؟

هل تعلم مستمعي أن النظر غير السليم هو السبب في الكثير من الخطايا؟ قال المخلص المسيح في عظته على الجبل أيضاً: "قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تزن. وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه." (بشارة متى ٥: ٢٧ و٢٨) إن خطيئة الزنا قد تبدأ بالنظرة الشريرة، فعندما ينظر الشاب إلى المرأة نظرة الشهوة الجنسية، فإنه يكون قد زنى بها في قلبه. وهذه الشهوة قد تجرّه إلى خطيئة الزنى الفعلي. وهذا يؤكد أهمية النظر في حياتنا، وضرورة أن نحفظ أنفسنا من النظرة الشريرة.

مستمعي الكريم، ليس سهلاً أن نحفظ عيوننا وآذاننا في عالم مليء بالشر والفساد. لهذا نحن في حاجة إلى قوة إلهية تساعدنا على اتخاذ القرار السليم وفي الوقت المناسب. وهذه القوة يجب أن تبدّل أولاً عمّا سماها الكتاب المقدس بعيون أذهاننا من الداخل، أي العيون الروحية. أجل، فكما أن للجسد عيوناً ترى، هكذا لنفس الإنسان عيون ترى وتدرّك. فإذا أثار الله هذه العيون، وأعطاهما

البصيرة الروحية، تستطيع عندها أن تنعكس على العيون الجسدية، وتعطيها القوة لكي ترى كل ما هو جيد وصالح، وتبتعد عن كل ما هو فاسد وشرير.

ولقد اقتبس المخلص المسيح ما سبق أن تنبأ به إشعياء النبي عن اليهود عندما قال عنهم: "تسمعون سمعاً ولا تفهمون. ومبصرين تبصرون ولا تنظرون. لأن قلب هذا الشعب قد غلظ. وأذانهم قد ثقل سماعها. وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بأذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم." (بشارة متى ١٣: ١٤ و ١٥) تحدّث المخلص المسيح هنا عن السمع والبصر الروحيين في الذهن. فقد رفض اليهود سماع كلام المسيح، ولم يريدوا أن يروا حقيقة شخصيته الإلهية وعجائبه الباهرة. لهذا لم يفهموا في قلوبهم معنى خلاص المسيح، ولم يدركوا بالتالي حقيقة شفائه لنفوسهم.

لكن هناك في المقابل من فهم وأدرك خلاص المسيح. ولهذا قال المسيح لتلاميذه: "ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر. ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم أن أنبياء كثيرين وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا. وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا." (بشارة متى ١٣: ١٦ و ١٧) هناك إذن نوعان من البشر: نوع يصر أن تبقى بصيرة ذهنه مغلقة، ويرفض أن يرى خلاص الله الذي أُعلن بواسطة المخلص المسيح. ونوع آخر يسمح لله أن يفتح بصيرة ذهنه، فيرى خلاص الله، ويدرك بالتالي الحقائق الروحية ويحصل على غفران الله، ويختبر تغيير الله لحياته.

فمن أي نوع أنت مستمعي الكريم؟ هل من النوع الأول الذي يصر أن تبقى بصيرة ذهنه مغلقة؟ أم من النوع الثاني الذي يطلب من الله أن ينير عيون أذهانه؟ إن الله يمد يد المساعدة لك، وما عليك إلا أن تتجاوب معها وتقبلها. صديقي المستمع: كما أن ما تراه العين هو مهم جداً لحياتك ومستقبلها، كذلك مهم جداً أثر عيون ذهنك على حياتك ومستقبلها. فهل تطلب من الله أن يفتح عيون ذهنك من الداخل، وأن ينير بصيرتك الروحية؟